

المبحث التاسع: الصدق

أولاً: مفهوم الصدق وأهميته وفضله:

الصدق: مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم، وهو ضد الكذب^(١)، وقيل: مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً^(٢)، وقيل: الصدق حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه^(٣).

ولا يخفى ما للصدق من فضل عظيم، وثواب جليل، ومقام كريم، ومما يدل على فضل الصدق، وسمو منزلته، وعلو مكانه أنه من خصائص أهل الإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٤)، فمن اتصف بهذه الصفات العظام وكانت لباسه وحليته فقد فاز. نسأل الله أن يجعلنا منهم.

ولقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين ويلازموا الصدق في كل الأحوال فهو سبيل النجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

(١) المعجم الوسيط، ٥١١/١، والقاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ص ٢٠٩ .

(٢) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، ص ٤٧٨ .

(٣) مدارج السالكين، ٢/٢٦٨ .

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥ .

ومما يدل على فضل الصدق والصادقين سوء مصير الكذابين وبوارهم، وأن الكذب من علامات النفاق والعياذ بالله - تعالى - وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»^(٢)، وفي رواية: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها...» فذكر الكذب^(٣).

والصدق طريق البر والجنة على عكس الكذب الذي هو طريق الفجور والنار والعياذ بالله، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(٤).

ثانياً: مجالات الصدق:

أهم مجالات الصدق ثلاثة:

الصدق في القصد بمعنى خلوص النية وصدق العزيمة وثبات الإرادة.

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٩ .

(٢) البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم ٣٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، برقم ٥٩ .

(٣) البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم ٣٤، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، برقم ٥٨ .

(٤) البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا ﴾، برقم ٦٠٩٤، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب، وحسن الصدق وفضله، برقم ٢٦٠٧ .

والصدق في القول بالأخذ بالحق ونبذ الباطل واللغو واللغو المحرم.
والصدق في العمل بموافقة القول العمل، وموافقتهما هدي الكتاب والسنة.
ومتى بلغ العبد تحقيق الصدق في هذه المجالات كلها على
الوجه الأتم الأكمل كان من الصّديقين، وكانت الحياة حينئذ لا
تساوي عنده إلا بقدر ما يتبلغ به المسافر، وكان ما عند الله ﷻ أحب
إليه مما في أيدي الناس.

وسأتناول فيما يلي كل واحد من هذه المجالات ببعض البسط.

١ - الصدق في النية والقصد: الصدق في القصد يستلزم
إخلاص النية لله ﷻ في الدعوة وفي كل طاعة وقربة، فلا يدعو
لطلب جاه ولا محمدة ولا وجهة، ومتى دخل شيء من هذه
الشوائب النية خرج الإخلاص المشروط لقبول العمل، ومتى حصل
الصدق في القصد وتحقق الإخلاص أثمر ذلك عزيمة صادقة
وإرادة ماضية، فلا يتوانى الداعي الصادق عن المضي في إيصال
الحق والخير للناس يبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، يتعلّم
ويعلم، ويتوخى الحق والصدق أينما كان.

٢ - الصدق في القول: يستلزم أن لا ينطق الداعي بالباطل أياً
كانت صورة هذا الباطل: كذباً، أو شتماً، أو سباباً، أو لعناً، أو
فحشاً، أو غيبة، أو نميمة، أو قول الزور.. وبالجملة فهو أبعد الناس
عن آفات اللسان. هذا ما يمس حياة الدعاة وسيرتهم الذاتية.

أما في مجال الدعوة فالحال كذلك، فلا يدعو إلا على بصيرة،
ومعرفة بالحق ودليله، وبعد تبصّر وتفقه، فالدعوة لا تصحّ إلا على
بصيرة... ولا يعظ الناس إلا بالصادق من القصص والأمثال، ويتعد

عن الكذب، والدجل، والأحلام، والرؤى التي لا يُعرف مصدرها ولا صدقها ولا عدالة صاحبها ولا ثبوتها عنه.. فدين الله ﷻ مصدره الكتاب والسنة وفهم السلف لهما لا غير، ومتى استبدل الداعي هذين المصدرين بغيرهما - أعني الكتاب والسنة - فقد ضلّ سواء السبيل.

وبالجملة فرائد الدعاة الصادقين توخّى الحق والحق هو ما في الكتاب والسنة منهما يستمدون، ومنهما ينهلون، وعلى هداهما يسرون، وإليهما يدعون، وفي ساحتهم يتحاكمون. نسأل الله أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن يجعلنا من أهل الصدق والرشد إنه سميع مجيب.

٣ - وأما صدق العمل: فهو مطابقة الأقوال والأعمال للحق الذي يدعو إليه، وقد تقدم في مبحث العمل بالعلم.

ثالثاً: أثر الصدق في حياة المسلم:

الصدق له الآثار الحميدة في حياة المسلمين، ونجاح الدعوة، ومن هذه الآثار الآتية:

١ - لا يخفى أن للصدق أثره البالغ في مسيرة الدعوة، إذ يظهر الصدق في كلام الداعي، وسمته، ولهجته، وحرارة عاطفته، فيؤثر ذلك في المدعويين، ويترك فيهم انطباعاً عميقاً بمصداقية الفكرة التي يدعو إليها ويؤمن بها.

ولقد كان النبي ﷺ يحدث الذين يلقونه أول مرة فيقولون: والله ما هذا بوجه كذاب ولا بكلام كذاب! وإذا كان المسلم مطالباً

بالصدق في الأقوال والأعمال والمقاصد؛ فإن الدعوة إلى الله تعالى من باب أولى وأوجب.

٢ - للصدق أثره الحميد في التآلف والتأزر والتوادد وتقارب القلوب، على عكس الكذب الذي يغرس الضغينة ويرفع الثقة، ويورث الريبة بفعل التلّون والتغيّر وعدم الثبات الذي يتصف به الكاذب، ومن هذا المنطلق كان من لوازم الصدق ترك كل آفات اللسان: كالهمز، واللمز، والقييل، والقال، وكثرة السؤال.. ومتى تألفت القلوب وتصافت واجتمعت على محبة الله سرت الدعوة في المجتمع سريان الماء في الزرع، فأمدته بالحياة والنماء والبقاء، ونما في المجتمع - كذلك - الإيمان، واستوثقت عراه وارتفعت أعلامه.

٣ - الصدق يزرع في النفوس الثقة والطمأنينة والراحة والأنس، فيركن الناس إلى الدعوة الصادقين، ويثقون فيهم وبهم ويأمنونهم، وتقوية هذه الوشائج بين الدعوة والمدعويين من أهم أسباب نجاح الدعوة، ولا يتحقق ذلك إلا بالصدق.. على عكس الكذب الذي يزرع في النفوس بذور الريبة والشك والحذر، فليس أمر أهل الكذب من الوضوح والثبات بالمكان الذي يألفه الناس ويحبذونه.

ومتى وثق الناس في الداعي لصدقه فتحوا له القلوب فاستمعوا إليه إذا تحدّث وقبلوا إرشاده وتوجيهه إذا وجّه وأرشد وبين وحدّث، وتوجهوا إليه يسألون ويستفتون.. وحصل التواصل بينه وبينهم وهي نعمة لا تُقدّر بثمن ولم تحصل إلا بفضل الله، ثم بفضل الصدق، ونقاء الصفحة، وخلو السيرة من مساوئ الأعمال والأخلاق^(١).

(١) انظر: أصول الدعوة وطرقها للدكتور عبد الرب بن نواب، ١٢٨/٢.